

أيام فى زاوية سيدى أحمد التجانى

رضى الله عنه

فاس - المغرب

لفضيلة العارف بالله تعالى

سيدى الشيخ / محمد الحافظ التجانى المصرى

من الثلاثاء ١٦ رجب سنة ١٣٥٦ هـ الموافق ٢١ سبتمبر سنة ١٩٣٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح الخاتم ، وآله ومن والاه .
إلى سيدي أحمد أفندي عوض ، وسعيد أفندي ، وشفيق أفندي ، وفوده أفندي ، وجميع
الأحباب .

سادتي الأحباب حفظكم الله جميعاً ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،
أكتب إليكم ونحن في جوار شيخنا رضى الله عنه ، وضيافته ظاهراً وباطناً ، وقد أكرمنا الله
فوق ما كنا نرجو ونحب ، ويسر الله الأمور تيسيراً عجيباً .

وقد اجتمعنا في مراكش بسيدنا الشيخ النظيفي ، وهو رجل كأنه في الدار الآخرة ، لا يخرج
من خلوته إلا في أوقات الصلوات فيصلى بالناس ثم يدخل مباشرة ، إلا بعد العصر فإنه يقرأ
الوظيفة ثم يدخل خلوته ، ويقرأ مع الأحباب الوظيفة بعد المغرب - مباشرة - مرة أخرى .

ثم يخرج من خلوته فيجلس في الزاوية ، وينكب عليه الأحباب بين طالب للدعاء ، وبين
طالب للتجديد ، ومستفهم عن مسائل ، حتى تجب العشاء فيصلى بالناس ويدخل ، وكلما سلم
أحد عليه أعطاه تماًراً من كومة من التمر وضعها بجواره .

وزرنا الفقيه الكنسوسى فى قبره ، وقد رأى الشيخ رضى الله عنه ، ولكنه أخذ عن أصحابه،
واجتمعنا بسيدى عمار بن سيدى محمود بن سيدنا رضى الله عنه .

وسافرنا إلى دمنات وهى بلد جبلية ، وفيها نهر يكسوها الزرع ، فمنظرها بهى جميل ،
فزرنا الفقيه الحجوجى .

ثم عدنا لمراكش ومنها إلى سطات ، زرنا سيدي أحمد سكيرج ، وهو يدعو لكم بخير ، وأقمنا
عنده ثلاثة أيام بعد رجوعنا من مراكش ، كما أقمنا عنده أربعة أيام قبل السفر إليها ، وهو بخير
شفانا الله وإياه .

ثم سافرنا إلى الدار البيضاء ، وهى ميناء على شاطئ المحيط الأطلسى ، وهى منتهى أفريقيا
ومنتهى بلاد المغرب ، فمكثنا بها أسبوعاً .

ثم سافرنا إلى الرباط وتعتبر العاصمة - رباط الفتح - حيث سيدى العربى بن السائح مؤلف
بغية المستفيد ، وإذا قيل هنا : سيدنا ، السيد لا تطلق إلا على سيدى العربى ، وإذا قيل : الفقيه
لا تطلق إلا على الفقيه الكنسوسى ، وإذا قيل : المقدم ، لا تطلق إلا على سيدى محمد بن قاسم
بصرى المكناسى .

وقد أكرمنا الله - والله الحمد والمنة - وشرح ذلك يطول ، ومنه أن سيدى العربى رضى الله
عنه جاء فى الرؤيا لأكبر التجانيين بالرباط - وهو تلميذه ، وقد خدم الفقيه الكنسوسى سنتين
فى داره وهو صغير ، وقد صحب سيدى العربى ١٦ سنة - وقد جاوز المائة ، وكان عنده كأس
سيدى العربى الذى يشرب فيه الشاي ، فأمره أن يعطيه إلى ، ففعل ، فالحمد لله على ذلك ،
وقد ذكرتكم فى المواطن التى أرجو أن تكون من خير المواطن ، إن شاء الله تعالى .

ثم سافرنا إلى سيدى قاسم ، ثم مكناس ، ثم عدنا إلى فاس فى يوم الجمعة المبارك فى أول
رمضان ، فحضرنا الهيلة فى الزاوية المباركة ، حيث نزلنا فى حجرة فيها - هى الحجرة التى كنا
فيها من قبل - والزاوية ملأى بأولياء الله السادة التجانيين ذوى القلوب النقية ، الذين تنطق آثار
التقى على ظواهرهم ، وتكسوهم الأنوار الحقية والنفوس الطاهرة الراضية المرضية ، يجتمعون
من النواحي البعيدة النائية على الحب فى الله ، وعلى ذكر الله تبارك وتعالى .

هؤلاء هم القوم الذين لا يشقى بهم جليسهم ، هؤلاء هم القوم الذين قلوبهم معلقة
بالمساجد .

أى نور وأى تقوى وفضل وبهاء وروعة وسناء

وجلال وبهجة وكمال فىك يا دار الهدى والشفاء

الحال هنا فى الزاوية هى الحال السامية ، لا يشعر العبد إن كان فى الملك أو الملكوت ،
قلوب نيرة ، وأرواح مقدسة طاهرة ، وصورة كاملة للإسلام فى الصدر الأول .

يصلى الأحباب الصبح فى الزاوية ، فتمتلئ على سعتها ، وبعد ختام الصلاة تقرأ الوظيفة ،
ثم يقرأ مولانا الشيخ محمد بن عبد الله أحد مشهورى علماء فاس ، وهو علامة فى المعقول
والمنقول - مع إتقانه للقراءات العشر وهى مما يدرسه - يقرأ الشفاء فى الزاوية ، فيحضر من شاء
وينصرف من شاء لعمله ، فإذا انتهى من الدرس شرع جماعة فى قراءة جزء من القرآن جماعة
بصوت واحد ، ومن الأحباب من يقرأ ، ومنهم من يستمع ، فإذا ختموه انصرف من شاء لعمله
وبقى من يجب أن يذكر الله فى الزاوية .

وقبل الظهر يبدأ العلامة الفقيه الحاج الحسن مزور فى قراءة درس فى الشمائل المحمدية ،
وهو العلامة الفاضل ذو الفهم والحفظ وحسن الأداء والمحاضرة ، ثم نصلى صلاة الظهر ، ثم
يقرأون جزءاً من القرآن جماعة بصوت واحد .

ثم يصلى العصر ، ويقرأون هذا الجزء مرة أخرى ، ثم يقرأون أورادهم ، ثم ينصرف من
يريد الانصراف ، ويبقى من يبقى ، ويحضر من يحضر لصلاة المغرب ، فيفطرون على ما يتيسر ،
ثم يصلون وينصرفون .

ويجتمعون فى صلاة العشاء ، فتزدحم الزاوية ، ويصلى الفقيه الشريف سيدى محمد بن
العابد العراقى صلاة العشاء ، وصلاته متقنة تشبه صلاة الصحابة وصلاة الشيخ رضى الله عنه
ومقدارها فى الصلاة الرباعية عشر دقائق ، ثم يبدأ فى صلاة التراويح ، فيصلى الإمام الراتب
سيدى العابد عشر ركعات ، يقرأ فى كل ركعة نصف ربع ، فيختم التراويح ويكون قد قرأ
جزءاً ونصف ، ثم يعودون إلى دورهم ، ويبقى من أحب ممن يرغب فى عبادة ربه ، ولا تقوم
فى الليل فى أى وقت من الأوقات إلا أصبت من توجه إلى ربه خاشعاً مخبتاً ضارعاً .

وقبل الفجر يأتى ذلك العالم المدرس الشيخ محمد بن عبد الله ، وسنه يغلب على السبعين - وهو نحيف البدن ضعيفه إلا أنه قوى فى الله - فيقف فى المحراب يصلى ويقرأ ، ويعلوه الجلال والخشوع والإخبات لله تبارك وتعالى ، يمثل العبد الفانى فى الله أصدق فناء ، وليتنى أستطيع أن أرى أحبابنا منظر ذلك الرجل المتحطم وهو يحمل نفسه على القيام فى حضرة الله عز وجل ، والإخلاص يتدفق من قلبه الطاهر ، وكل عضو من أعضائه الضعيفة لسان ناطق بأبدع بيان ، يمثل للناس تجرد الروح عن المادة ، وكيف يسمو الحق بأهله وهم بين أهل هذه الأرض المتقاتلين على الزائل الذاهب ، فيلحق أهل الحق المخلصين الصادقين بالملاء الأعلى ، حيث الأنس مبعث الراحة ، حيث الشهود ، حيث ثلج اليقين .

ثم يوترون وها قد طلع الصبح ، فيعودون إلى ما كانوا فيه من ذكر وقراءة قرآن ومذاكرة ، ولا تظن أنهم تركوا الدنيا ، فأهل فاس قائمون بالجد فى الدين والدنيا معاً ، هذه حياتهم ، وهذا حالهم ، رضى الله عنهم .

وفى الليلة السابعة والعشرين يبدأ الفقيه العابد فى القيام بأول القرآن ، ثم ينوب عنه غيره ، وغيره ، والشيخ محمد عبد الله ، وغيره طول الليل حتى يخرموا القرآن من أوله إلى آخره فى تلك الليلة ، فيختم مولانا الشيخ محمد بن عبد الله الصلاة بحزب سبح اسم ربك الأعلى بقراءة سيدنا حمزة ، ثم يوترون .

أما مقدم الزاوية سيدى الطيب السفينانى - فقد أشرف على المائة - يأتى من داره قبل الفجر ، يتوكأ على أحد أصحابه ، يتقدمه النور ويتلألأ فى وجهه النور كأنه كوكب درى ، فيصلى ما شاء الله ، ثم ينتظر الصبح فيصلى مع الجماعة ، ثم يجلس مقابلاً للشيخ رضى الله عنه ، وتبدأ الوظيفة ، فإذا ختمت جلس يسمع درس الشيخ محمد بن عبد الله ، ثم يذكر ما شاء الله أن يذكر ، وقد فهمت منه أن من أوراده ألفاً من الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم - صلاة الفاتح - صباحاً ، وألفاً مساءً ، وذلك أن الشيخ رضى الله عنه قال لجدته : " التمس لى عشرة

أنت منهم وسيدى أبو يعزى بن سيدى الحاج على حرازم ، وليقرأوا ألفاً من الفاتح صباحاً
وألفاً مساءً ، ومائة من الفاتحة وتقرأ نهاراً فحسب ، وألفاً من يا لطيف " .

وحدثنى أن والده سيدى أحمد - وقد رأى الشيخ رضى الله عنه - ورثها عن أبيه ، وقد ورثها
سيدى الطيب كذلك عن والده - رضى الله عنهم - وهذا هو الميراث الخالد لا الميراث الزائل .
وبعد صلاة الضحى يمضى إلى داره ، ثم يعود قبل الظهر ، فيستمع درس الفقيه سيدى الحاج
الحسن مزور ، وينتظر الصلاة ، ثم يذكر ما شاء الله أن يذكر بعد الصلاة إلى العصر ، فيصلى ،
ثم يختم ورده ، ويعود إلى داره ، ويرجع قبل العشاء إلى الزاوية .

وقد حادثته يوماً حتى أذنت العشاء ، فقال لى : قد أخرجتني عن ورد كنت أذكره ، فقلت له :
فلتذكره بعد ذلك ، فقال : إن أوقاتي مشغولة ولى أوراد أخرى مقسمة على الأوقات ، وإن
الزمن أضيق من أن يتركه الإنسان خالياً ، ولذلك فرقت ما قسم الله لى من العبادة على الزمن ،
فليس لى وقت غير مشغول ، فأسفت لذلك ، فقال لى : نب عنى أنت فى ذكره ، وهو بسم
الله الرحمن الرحيم ٨٠٠ ويا لطيف ألفاً ، ومرة أخرى تحدثت معه فى الضحى فقال لى : عليك
أن تذكر ما عطلتني عن ذكره وهو ساعة ونصف تقرأ فيها صلاة الفاتح ، ويصلى العشاء
والقيام - ذلك القيام الطويل ، القيام الذى يصله سيدى الفقيه ابن العابد - ثم يمضى لداره
بسلام حيث يشتغل فيها بربه تبارك وتعالى .

وولده سيدى العالى وارث الأخلاق الحمديّة ، الفضل والحلم والأدب والتؤدة والسمت
الحسن ، إذا مشى يتقدمه النور ، وإذا جلس يعلوه النور ، المحب الفانى فى الحضرة الخاصة ،
ولا يقرأ أوراده إلا مختلياً بعيداً عن الخلق ، وهو ذو تجارة من الذين قال الله تعالى فيهم : (لَأَ
تُلْهِيمُهُمْ تِجَارَةً وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ)^(١) ، لا يؤذن الوقت إلا وتراه قد حضر
للصلاة فى الزاوية ، وهو القائم الآن بشؤون الزاوية ، وهو خليفة سيدنا سيدى الطيب خليفة
الشيخ رضى الله عنه ، ويجلس بجوار سيدى الطيب فى الوظيفة الشريف سيدى محمد بن سيدى

١ - سورة النور ، الآية ٣٧ .

الطاهر بن المتوكل ، وقد أدرك والده الشيخ رضى الله عنه ، ولم يأخذ عنه ، ولكن أخذ عن أصحابه ، وكان إماماً للزاوية قبل الفقيه العابد ، وقد بلغ مائة سنة وعشراً ، وكان الفقيه العابد يحملة على أكتافه من داره إلى الزاوية ، ثم يساعده على القيام فى الصلاة ، فإذا شرع فى الصلاة صلى بغير حاجة إلى من يعينه مادام فى الصلاة .

وهنا كل فرد محتاج فى الكتابة عنه إلى إفاضة ، فكلهم لله الحمد بدور ، وكلهم والله الحمد مصب الفيض الربانى ومهبط الفضل الرحمانى ، هم من الذين قال الرسول صلى الله عليه وسلم فيهم : ((الذين إذا رُؤوا ذكر الله)) ، ولا أدرى كيف أستطيع أن أفارق الزاوية ، فإن ما نحن فيه نعيم وأى نعيم ، والله الحمد .

إننا نقيم فى الزاوية نسلم على شيخنا رضى الله عنه ليلاً ونهاراً ، ونشهد أنواره ، ونسأل الله لنا ولكم ، ونزور نيابة عنكم ، ونذكركم بالخير ، والأحباب يدعون لكم ، ونقرأ عليهم مكاتيبكم ، فنشترك فى القراءة والدعاء لكم ، وآخر ما وصلنا كتاب أخى الشيخ عبد المجيد الجزائر ، فقراءته على خاصة من أصحاب سيدنا رضى الله عنه فأجهشوا بالبكاء ودعوا الله وتوجهوا إليه لأحبابنا قاطبة ، وقد بلغت رسالاتكم جميعاً إلى الشيخ ، وذكرنا الله نيابة عنكم ما يسر الله تعالى فى الزاوية الرحبة ، فى الزاوية النورانية ، فى الزاوية المقدسة نقيم والحمد لله .

إذا أردت أن تذهب إلى دورة المياه تمر فى نهر صغير من الماء تخوض فيه ، ثم تذهب إلى بيت الخلاء حافياً ، والأرض كلها مرصوفة بالفسيفساء اللماعة ، ويسمونه هنا الزليج ، وهو أغلى من البلاط ، وشكله كشكل الأطباق الصينى ، والمسجد كله رصفت أرضه به وجوانب الحائط ونصف السوارى الذى يلى الأرض على صورة مربعات ، وعليه صور ونقوش بديعة .

أما المياه فإن بعد الفناء المرصوف المتصل بالحائط حوضين مستطيلين فيهما ١٦ ماسورة كبيرة تصب كلها فى هذين الحوضين ، وعلى الأحواض جرادل من خشب يملؤها المتوضى من الحوضين ، ثم يجلس على كرسى يتوضأ منها ، والماء متدفق من تلك المواسير ليلاً ونهاراً ، فيصب فى هذين الحوضين ، وخلف الحائط - بعد أن تمر بالقناة الصغيرة الذى يجرى ماؤها

باستمرار ليلاً ونهاراً - تجد حوضين آخرين فيهما عشر مواسير ، وكذلك فى بيوت الخلاء ، فى كل بيت منها ماسورة يتدفق منها الماء دائماً ، والزاوية تنار بالكهرباء طول الليل .

وكأن الحق تبارك وتعالى أراد أن يجعل هذه الزاوية المقدسة دائمة الفيض بالمياه الطاهرة ، دائمة النور بالأنوار الظاهرة ، إشارة يفهمها الحكيم إلى أن إفاضة الأنوار القدسية والماء الربانى لن يزال ينبع منها ، ويفيض ليلاً ونهاراً بغير انقطاع ، رضى الله عن سيدنا ، ما أوسع الفضل الذى منحه الله إياه .

هل تظنون أن تلك النفوس التى زكاها الحق واصطفها تسمع بذلك البعوض المنتفخ الذى يطن بالافتراء على سبيل المتقين المقربين السابقين ، كزعمهم فيهم تفضيل غير القرآن عليه ، والكتمان ؟ وهم منه براء ، هم فى واد ، والناس فى واد ، شغلهم الله به ، ثم برسوله ، ودينه ، فذكروا الله ، وعبدوا الله ، واشتغلوا بمعاشهم لله ، وحسن رجائهم فى الله ، فهم أهل الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

ذلك مجمل من حال الزاوية وأهل الزاوية .

وقد أمرنى سيدى الطيب رضى الله عنه أن أقرأ درساً فى الزاوية ، وقد قرأنا الأربعين حديثاً النووية بعد قراءة الحزب بعد صلاة الظهر ، وسنختمها إن شاء الله تعالى اليوم ، يوم الخميس ٢١ رمضان ١٣٥٦ هـ ، بعد صلاة الصبح وقراءة الوظيفة .

والحمد لله رب العالمين قد حضرنا زواج سيدنا سيدى عمار بن سيدى محمود بن سيدى البشير حفيد شيخنا رضى الله عنه ، وهو آية فى النورانية يمشى ، فكل من رآه رأى جمال النبوة يسطع فى وجهه ، والحمد لله رب العالمين .

العنوان : سيدى اللقانى

العلية - مدينة تقرت - ولاية ورقلة - الجزائر

محمد الحافظ التجانى